التفاهم الاسرائيلي الفلسطيني اولا ثم التفاهم الاسرائيلي العربي ثانيا . واذا كان حل النزاع الفلسطيني الاسرائيلي قد اصبح صعبا بسبب « تصلب » الطرف الفلسطيني ، فما هي افاق حل تاريخي لهذا النزاع ؟ يجيب على ذلك نعوم شومسكي استاذ علم اللغة بمعهد التيكنولوجيا بكامبريدج ، وعضو اللجنة اياها ، في مقاله : «منظور راديكالي لحل النزاع العربي الاسرائيلي». وهو يبدأ بتكذيب عنوانه قائلا : « في الحقيقة ليس في مقالي شيء من الراديكالية . وانما سأحاول ان اكون واقعيا وانسانيا » . ويستعرض عناصر التفوق العسكري والتيكنولوجي الاسرائيلي بالتياس الى الجيوش العربية لكنه يضيف استنتاجا : « ورغم هذا التفوق فاسرائيل على حد قول الكاتب الاسرائيلي تالمون تستطيع ان تكون الظافرة وتستطيع ان تبقى الظافرة الى اخر رمق من حياتها . لكن هذا التهديم الذاتي ، هو الانتحار . فبعد كل انتصار نجد انفسنا محاصرين بمتاعب جديدة ... كما ان هوة الحقد المتبادل ستتعمق وتتسع . والرغبة في اخذ الثأر ستبلغ ذروتها » . ويضيف شومسكي بان « اسرائيل باستراتيجية تصعيد الحرب تتبع فعلا استراتيجية انتحارية . لانها تستطيع ان تكسب كل نزاع الا النزاع الاخير » . والذي يضحك هو الذي يضحك اخيرا كما يقول المثل الفرنسي . ولهذا ليس من مصلحة دولة اسرائيل ان تتصلب ولا تعتمد على تفوقها الراهن الذي قد لا يدوم طويلا. وانما من مصلحتها التاريخية ان تقبل بحل سلمي يحفظ حقها في الوجود المستقل . ويقول شومسكي بان احتفاظ اسرائيل بالاراضي العربية المحتلة يشكل خطرا عليها . لانه : « كيف تستطيع الديموقراطية الاسرائيلية — الضمانة الاولى والجوهرية لدعم الراي العام الغربي لاسرائيل — ان تبقى سليمة مع تواجد مليون عربي تحت الاحتلال ، لا يستطيعون الحصول على المواطنة الاسرائيلية الكاملة لان الحكومة مصرة على الاحتفاظ باليهود كاغلبية لسكان اسرائيل » . ويضيف : « توصف اسرائيل عادة بانها الساعد الايمن للامبريالية الغربية . هذا الوصف ليس صحيحا الان . لكنه اذا استمر الوضع الراهن فانه سيصبح صحيحا في المستقبل . وعندئذ تتعرض اسرائيل لخطر خسران تعاطف اليسار الغربي معها » . ولهذا فمنطق الاشياء يفرض على اسرائيل ان تقبل بالحل السلمي . نفس هذا المنطق لكن لاسباب مختلفة يفرض على الفلسطينيين والعرب قبول الحل السلمي ايضا . ويدعم شومسكي زعمه بالحجج التالية : « ان مصر هي الاخرى تتبع سياسة فاشلة . لان التفوق الاسرائيلي — الذي اعتبره في اول مقاله مؤقتا واصبح الان ابديا — لن يترك لها فرصة توجيه ضربة ظافرة للجيش الاسرائيلي » . ويلتفت اخيرا للمقاومة لينصحها : « المشاريع الراهنة للمقاومة لا حظ لها من النجاح . لان اسرائيل ليست الجزائر ولا يمكن قتل جميع سكانها ولا ان يرحلوا من تلقاء انفسهم » . ان هذا العرض لاستراتيجية المقاومة مفرض . فالمقاومة لم تقل يوما ولم تفكر بانه يجب قتل كل سكان اسرائيل او اجبارهم على الرحيل ! اذن ، يقول شومسكي : « ان طرفي النزاع الاسرائيلي — الفلسطيني العربي باصرارهما على النضال في سبيل الاستقلال القومي يخسران هذا الاستقلال بالذات بالوقوع تحت نفوذ الدول الكبرى » . والبديل الذي يقترحه بكل راحة ضمير هو وقوع الامة العربية تحت نفوذ اسرائيل المتفوقة عسكريا وتكنولوجيا واقتصاديا !

يأسف شومسكي الى ان مبلغ ٢٥ بليون دولار انفق من ١٩٤٧ على السلاح بدلا من انفاقه على مقاومة التخلف ، كما لو كانت القوى الامبريالية ودولة اسرائيل يهمها جديا ان توظف هذا المبلغ او حتى جزء منه لمقاومة التخلف . ولم يسأل شومسكي نفسه : لماذا لم توظف مبالغ مماثلة لمقاومة التخلف في امريكا اللاتينية مثلا التي تبلغ فيها نسبة الامية ٦٥٪ من السكان ، واكثر من نصف سكانها مصابون بامراض سوء التغذية ؟

لفتة اخرى للفلسطينيين ، يقول شومسكي : « صحيح ان الفلسطينيين ضحايا ظلم تاريخي . لكننا نعترف بكل نزاهة (كذا) بان هذا الظلم لا يمكن رفعه ابدا . لان كل اصلاح له يبدو مستحيلا في نظر الحقائق الراهنة » . يتناسى شومسكي ان الحقائق الراهنة ليست ابدية . وان ميزان القوى يتغير بارادة القوى الثورية في المستقبل . وينسى انه هو نفسه يعرف ذلك تماما عندما كتب : « ان اسرائيل تستطيع ان